

نظرية الغدد

ونأثيرها علميا في تجديد الشباب

حديث مع الدكتور فرونوف (١)

النظرية قديمة - الغدد والحياة - ماذا يعني علميا بالشيخوخة - تجديد الشباب - لاخوف من الفرائز الحيوانية

١ - النظرية قديمة

يعتقد الناس أن في مقررات الدكتور فرونوف وتجاريه وعملياته العديدة شيئا خارجا عن منطوق العلم الحديث. بل شيئا فيه ريح الانقلاب والثورة على نظريات مقررّة ومبادئ مسلم بها ، وانها في مجموعها بعيدة عما يشتغل به الطبيب المعالج باعتباره رجلا علميا بعيدا عن الاحتكاك بالبحث العلمي الصرف . غير أن دكتور فرونوف قد أعلن في صراحة بان النظريات التي بنى عليها طريقته ليس فيها شيء يستشمن منه ريح الثورة والخروج على ما كان مقررّا من النظريات ، وقليل منها ما هو جديد لم يكن معروفا من قبل . بل قال بان العمليات التي يجريها ليست الا تطبيقا لمبادئ كانت قد تقررت ، ونظريات اعتقد كثير من الناس بصحتها ، وذاعت حقائقها بين الباحثين .

ان العملية الجراحية التي تدعى «عملية الغدة القردية» Monkey-gland operation كما قال دكتور فورنوف ، هي صورة جديدة تطور اليها ما كان معروفا من قبل بعملية «الابوتيرابي» Opothrapy - أما تأثير الغدد في الجهاز العضوى ، فقد عرف منذ أزمان طويلة . قال دكتور فورنوف .

« يوجد في الجسم الحى ، ماعدا الاعضاء التي تضبط سير النظام العقلى والدورى والتنفسى وكثير من الخصائص الاخرى ، أعضاء تؤثر في هذه الانظمة

(١) حادث احد مكاتبي المصحف الانجليزية الراقية الدكتور فرونوف في تطبيقه نظرية الغدد تطبيقا علميا فادلى اليه برأيه في صراحة وقد آثرنا أن ننقل لقراء المصور هذا الحديث ليقفوا على شيء من أغرب ما اهتدى اليه العلم الحديث في نظريات الحياة .

بواسطة مواد عضوية تغذى بها جهاز الدورة الدموية . وبهذه الطريقة نجد أن تلك الاعضاء يمكنها أن تؤثر في أجزاء من الجسم حتى يكون موقعها العضوى بعيداً عن مركز الاعضاء المؤثرة ذاتها ، أو تؤثر في مجموع الجسم الحى » .
وهذه الاعضاء ليست بشئ سوى الغدد . ولقد عرف منذ زمان طويل بأن هذه الغدد من طريق افرازاتها الداخلية ، تؤثر في تطور الخلايا الحية ، ذلك التطور العضوى الذى تعود اليه صحة الجسم فى مجموعه .

* *

٢ - الغدد والحياة

منذ سنة ١٨٨٩ استكشف العلامة « برون سكار » الفرنسى ، وكان يدعى خالق فن « الاوپوتيرابى » أن هذه الافرازات فى الجسم الانسانى هى بذاتها فى الاجسام الحيوانية ، وبذلك وصل الى فكرة أن يعالج الامراض التى يكون منشؤها هزال أو ضعف يصيب غدة من هذه الغدد أو عديداً منها ، بأن يعطى المريض خلاصة مستخرجة من نفس الغدة فى حيوان سليم من المرض . وعلى هذه القاعدة استعمل « اليبسين » سنوات عديدة دواء لمرض الدسبسيا Dypsepsia أى التخمة أو سوء الهضم — ايموض به عن نقص العصير المعدى فى معدة المصاب بالمرض ، كما استعمل نخاع العظم علاجاً لفقر الدم — الانيميا - Anaemia

أما أظهر النتائج التى وصل اليها علم الطب فقد حدثت فى المرض المسعى ميكسوديميا - Myxoedema الذى يحدث من هزال يصيب الغدة الدرقية - Thyroid gland

قال دكتور فورنوف :

« ان مثل الغدة الدرقية كمثال سداة مضيئة للمخ » .
والاطفال الذين يولدون بغير غدة درقية يكونون بلباء أو مصابين بالعتة والذين يصابون بمرض « الميكسوديميا » أحسن منهم حالاً ، حتى أنك لتجد أن وجوههم غير ذات ألقة ، ولا تقع على تعبير ما فى تقاطيعهم ، وكلامهم بطيء .

وأن أيديهم مشوهة ؛ وقد تكون شبيهة بالمنجل ، وأن دورتهم الدموية بطيئة .
ولقد ظهر علمياً أن خلاصة الغدة الدرقية علاج واف لمثل هذه الحالات . غير أن
دكتور فورنوف يعتقد بأن الأطباء - « إذا أرادوا أن يحاكوا عمل الطبيعة
وينهجوا منهجها ، وجب عليهم أن يكرروا إعطاء هذه المادة في جرعات صغيرة
متوالية مدى حياة المريض » . وهو فوق ذلك يوقن بأن الإقلاع عن هذه الطريقة
الطبيعية كان سبباً في أن استخدام طريقة « برون بيكار » لم تنتج كل الآمال
التي عقدها عليها الباحثون . أما ماضن النجاح لطريقة دكتور فورنوف فهو
إدخال طريقة «التطعيم» في العلاج ، التي استبدلت بها طريقة استعمال الخلاصات
الغدية في صورة أقراص تزدرد ، بأخذ غدة حية في حالة جيدة « وتطعيم » الجسم
بها لتقوم مقام الغدة الدرقية

*
*
*

٣ - ماذا يعنى بالشيخوخة علمياً

الى هذا الحد ظل عمل دكتور فورنوف عبارة عن تطبيق مبدأ بيولوجى
عرف خطره من قبل غير أنه لم يصل الى هذا الحد ؛ الا ليبدأ بوضع نظرية في
سبب الضعف الشيخوخى Senility من الظاهر حتى الآن أنها لم تفرز بعد بقبول
عام . ويرجح فورنوف أن إحدى الغدد قد وضعت على أن تفرز مادة تنبه ما في
خلايا الجسم حيويته الطبيعية . فإذا صح هذا ، تصبح الشيخوخة ، وبالأحرى
الضعف الشيخوخى ، راجعاً الى أن هذه الغدة قد تعطلت عن القيام بخصائصها
وهذا يدل دلالة واضحة على أن قدرة الغدة على القيام بوظيفتها مقدور في الحقيقة
الى قدر خاص من العمر . فإذا انحصر في هذا تأثير الغدة الدرقية وضح لنا أن
كل من يتقدمون في العمر لابد من أن يصيبهم العته على مر الزمان ، اذا ما تعطل
تأثير الغدة الدرقية ، ولا بد أيضاً من أن يحدث الموت سريعاً بعد ذلك بسبب
الرجفات السكرازية التي يتوالى حدوثها في مثل هذه الحالات . هذا في الغدة
الدرقية . اما الغدة النخامية ، فإذا أصابها الهزال ولم تصبح قادرة على القيام
بوظيفتها عند بلوغ حد معين من العمر ، فإن الموت يحدث سريعاً ، بسبب

ما يحدث من تأجيل دورات التنفس والنحطاط الاحترار - Temperature وغير ذلك من الاسباب .

قال دكتور فورونوف :

« في حالات التقدم في العمر ، تبقى هذه الغدد قائمة بوظيفتها ، ولكن بضعف وهبوط عام بغير شك ، ولا تتعطل الاعضاء عن تزويد الجسم بملك الافرازات التي هي ضرورية للحياة . ولا يعدو هذه القاعدة سوى غدة واحدة من الغدد الكثيرة التي يحتوى عليها الجسم . تلك هي الغدة التناسلية . فهل لنا أن نعتقد بان هذه الحالة نقطة ابتداء لتتابع البحوث من طريقها ؟ »



- ٤ - تجريد الشباب

نعم يصح أن نتخذ حالة الغدة التناسلية مبدأ لتتابع منه البحث ، ولا جرم أن على هذا المبدأ تقوم طريقة الدكتور فورونوف العملية . فان عملياته الجراحية التي جدد بها الشباب انما تنحصر في أن « يطعم » جسم المريض بغدة تناسلية تؤخذ من فرد صحيح البنية . وهو يستمسك بصلاية بفكرة أن هذه العملية لا تعيد الى الرجل النشاط التناسلي في كل الحالات ، أما ما يؤكد دكتور فورونوف انه يترتب حتما على هذه العملية فتغير طبيعي فزيولوجي يحسن من حالة المريض تحسينا يذكر . وقد اتضح من طريق تجربته هذه ان حيوية الخلايا الجسمية والخية تتوقف بالاكثر على الافرازات الداخلية التي تزود بها هذه الغدد الجسم الحى .

وهو على تمام الاقتناع بان مرضاه بعد القيام بهذه العملية يصبحون أكثر مقدرة ونشاطاً عقلياً وجسمانياً . وبالأحرى يعتقد بان شبابهم قد « تجدد » . ويقول فوق هذا بان هذه العملية يجب أن تعمل بعد أن يجوز الانسان « متوسط عمره » . على أن اصطلاح « متوسط العمر » يختلف باختلاف الاشخاص . فمنهم من يبلغ متوسط العمر وهو في شرح شبابه ، ومنهم من يبلغه وهو في الاربعين أو الخامسة والاربعين .

وفضلا عن هذا فان عملية التطعيم بالغدد قد عملت أكثر من مرة في جسم

واحد ، كما يقول فورونوف . أما اجراؤها لثالث مرة فلم تجرب الا في كبش كبير السن .

وذكر دكتور فورونوف أن نسبة نجاح عملياته في ١٣٠٠ مريض كبيرة تدعو الى التفاؤل الكثير . ولم تمتد علاقته بكثير من مرضاه مدة طويلة بعد العملية . وأن الاكثرية منهم لم يكتبوا له ، بل ولم يعودوا اليه ليستشيروه في شيء مما يدل على ان حالهم قد تحسنت وانهم لم يعودوا في حاجة اليه .



٥ - كحرف من الغرائز الحيوانية

من البين أن هذه النظرية ، مادامت قد فهمت فهماً جيداً ، فليس هنالك من خوف في أن يترتب على التطعيم بغدة حيوانية أن تنتقل الى الجسم المطعم غرائز الحيوان الذي تؤخذ منه مادة التطعيم . انما ينتقل الى الجسم المطعم خصائص العضو الذي يطعم به لا غير ، وذلك ليساعد الجسم على القيام بوظائفه الطبيعية ، ولا علاقة لذلك بالغرائز مطلقاً . فاذا طعمنا حصاناً أصابه هزال الشيخوخة بغدة درقية تؤخذ من انسان ، فلا يترتب على هذا أن يصبح الحصان القادرة على التفكير كما يفعل الانسان ، بل كل ما يترتب على هذه العملية هو ان تساعد دقائق المخ في الحصان على أن تقوم بوظيفتها حسب كفايتها الطبيعية لا غير .

بهذا تعود الحيوية الى الخلايا ، فيصبح الحصان أكثر صحة وأقوى بنية . ولكن هذا لا ينقله عن اقمه الحيوانى قيد أنملة .

العاصفة

حدثني صديق لي عن قصة غرامية أشعر بدافع غريب ، يدفعني للذهاب .
المؤثرة . قال :

في ١٥ أيلول ١٩٢١ تزحت عن بيروت ميمماً شطراً حيفاً . وكان لي فيها صديق عرفني الى كثير من العائلات .
وكان هو يتردد على عائلة مؤلفة من زوج وزوجة .
فحدثني بأن النار تتأجج في قلبي ، وتهدت هامساً :

— مابك ياسيدي ؟
— ؟ ...
— بم تشعرين ؟ ...
— يربك قولي ! لقد جرححت

وكانت أول زيارة . أصل شقائي وشقاء الزوجة الشابة الجميلة ، اذ حين وقع نظر كل منا على الآخر . شعر بتيار كهربائي يسري في عروقه ...
علمت بتلك السيدة . وكانت هي لا تقل عني غراماً . حتى غدت تنظر الي بكآبة ورفق . كأن يقابها سر ، تود إفشائه الى .

— رحماك يا الله ! ... لا تسليني
— جرححت قلبك دموعي ؟ أحملاً !
— لم ذلك ؟ ...
— ماذا أقول اذن ؟

مضى على ماينيف على عشرة أيام ياسيدي ...
وأنا أشعر أن حبها ينمو في قلبي ، فذهبت اليها يوماً . على غير موعد الزيارة ، وأنا

- قل رباہ ! . . . رفقاً ! . . .
 أشفق على
 وغطت وجهها بيديها ، وجعلت
 تبكي خيفة ، فهتفت :
 - سيدتى ! دعيني أم لك ما بك .
 ولم تبكين ؟ ! . . .
 فنظرت الى تعنفنى لقولى لها ثانية :
 « سيدتى » . ففطنت لذلك :
 - قولى ما بك يا إيفون ؟
 - ما بى ! . . . لا أعلم
 يا عزيزى جورج
 ودرمتنى بنظرة قاسية تؤنبنى
 لتجاهلى .
 - لا تكلمين ! وأنا لا أعلم . فمن
 يعلم إذن ؟ ! . . .
 - كلانا . . .
 - كلانا ! . . .
 - ربما . . .
 وأغرورقت عيناها بالدموع .
 حتى أبكتنى . ثم قالت متسعدة :
 - لماذا يريد الله عذابى ؟
 - لانه يريد عذابى
 - هل تتألم لائى ؟
 - كفى رحماك !
 واقتربت منها أودضمها لصدري
- فرمتنى بنظرة ترسل :
 - اذا كنت تحببى حقاً . أرجوك
 ألا تدن منى . . .
 - رحماك يا الله ! ولماذا يا عزيزتى ؟!
 - آه ! إنى شقية يا حبيبى . .
 وتلك أول مرة تدعونى بها
 « حبيبى » فتيقنت أنها تحببى حباً
 صادقاً .
 - ولم ذلك يا حبيبتى ؟!
 - أنت تعلم أنى متزوجة ، وأظنك
 فهمت . . .
 - أنا أعلم ، وما علاقة ذلك بحبنا ؟
 أما علمت أن لائى يحول دون الحب . .
 - أجل . الا الواجبات الزوجية
 يا صديقى ، فأنت ترى أنى بائسة بحبك ،
 فياليتنى لم أعرفك ، لقد أدخلت الحزن
 على قلبى ، والالم الى نفسى ، والشقاء
 الى بيتى ، إذ أن واجباتى الزوجية ،
 تصدنى عن حبك ، لائى أسمع صوتاً
 فى داخل ينادينى : « وزوجك » !
 ولكنى أسمع همساً من أعماق يهتف :
 « وقلبك » ! آه ! لقد أصبحت بين
 عاصفتين عظيمتين ، وليس لى طاقة
 على احتمالها أو صدها ! فارحنى ! .
 واستغرقت باكية فخرنت لها ،

- أنا لا أستطيع أن أتصور أن
حبيبتي تمنعني عن تقبيلها ! ..
- يجب أن تتصور . لاسيما متى
كانت هذه الحبيبة متزوجة ..

- ماهذه الفلسفة ؟

- انها ليست فلسفة بل فضيلة ..

- ماهذه السفاسف !

- بل قل انها حقائق

ثم اترمت على مقعد منتحبة ،
فاحترمت دموعها ، وعفاها ، ورجعت
فوراً على أعقابى

* *

ولبثت أزورها ، ونحن على هذه
الحال ؛ حتى عيل صبرنا ؛ فاقتربت
منها يوماً أريد تقبيلها . فتراجعت الى
الوراء .

- ارجع ! . واياك أن تقرب !

فلم أحفل بها ؛ وعانقتها لاضمها
الى صدرى ، فصاحت :

- ان فعلت اصرخ .

فرجعت حزيناً أبكى ، فبكت

لبكائى

وكنيت كما زرتها ، يجلس كل منا
على مقعد ؛ بعيداً عن رفيقه قليلاً ولا
تتكلم الا غراراً ؛ وكانت تصرف معظم

وودعتها ، عساى أن أخفف من وطأة
ألمها ، واحتراما لعواطفها ، وفضيلاتها .
وبعد ثلاثة أيام زرتها ، وكان
المشهد مؤثراً ، إذ كانت تود أن ترمى
على عنقي ، ولكنها وجدت شيئاً يصدها
فاكتفت بمصافحتى ، ذاهلة ، ضاغطة
على يدى ، بكل قواها .

- عساك كنت سعيدة ، وهادئة

كل هذه المدة ، يا إيفون ؟

- كنت أشقى خلق الله ، اذ وقعت
في عراك نفسى عظيم صدمنى صدمة
قوية ، وقعت على الاثر منهوكة القوى .
- لا تجعلى الالم يتسرب الى قلبك

ولا تستسلمى الى اليأس .

- أحبك ! ولكنى لا أستطيع أن

استرسل فى هذا الحب ..

- وما يمنعك ؟

- واجباتى الزوجية

- هل تسمحين لى بقبلة ؟

- رحماك ! .. لا !

- عجباً ! ..

- أحبك ! ولكن لا تقرب الى ؛

لانى متزوجة ..

- فما هذا الحب !

- هذا هو الحب !

الوقت بالنظر إلى وهي تبكي ..

وكنا يومًا على الشرفة؛ في منتصف الليل، وكان القمر يرى بأشعته الفضية على وجهها؛ فيزيده جمالًا؛ فقلت لها؛ - وبعد ذلك

- هذا هو الحب متى كانت الحبيبة متزوجة

- هلا ترالين تتكلمين في قلعة الحب؟

- هذه حقيقة راهنة؛ يا صديقي، ولم لا تعترف بها؟

- يالك من قاضلة، مخلصه؛ يا حبيبتي، ترعى عهودها الزوجية، وترعى عهود الحب في وقت واحد.

- ان الله يعذبني أكثر من طاقتي وأظن هذا كثير على ..

وأدارت وجهها عني؛ ثم حدثت بعينيهما فوجدتهما مغمورتين بالدموع

- هلا ترالين تبكين! ارحمني نفسك وارحميني؛ ودعيني أقبلك الآن

وأضمد جرح قلبك الدامي

- حنانيك

- ايفون!

- جورج!

- ماهذا العناد؟

وتقدمت إليها لاضمها إلى قلبي؛ ففتفت بأكية.

- اذا قبلتني رميت بنفسي من الشرفة

فتراجعت معجبا بعفافها وشدة تمسكها بواجباتها الزوجية، وفرط حبها لي؛ فتركها راثيا لخالي وحالها.

...

وفي اليوم التالي وردت على برقية مستعجلة؛ تضطرنني للحضور إلى بيروت فلم يسمح لي الوقت لوداعها؛ فرجعت إلى بيروت؛ وفي القلب لوعات ..

ثم جعلت انتهز الفرص، لأعود إليها؛ فسافرت بعد ثلاثة أشهر إلى حيفا وفي المساء، ذهبت لمنزلها، وبني شوق وحب يستحيل تصويرهما؛ فقابلني زوجها بابتسامة كئيبة؛ فسألته عنها، وقلبي يخفق بشدة، فأجاب مطرقا، وقد تناثرت دموع حارة على خده:

- مسكينة ايفون ... لقد

ماتت

بيروت

منير الحسامي